الفصل الثاني

نسبها أصولاً وفروعاً

الأنساب فن عربي أصيل عرفه العرب قديماً، وكان لهم في الجاهلية مزيد من العناية بضبطه ومعرفته، فهو من أسباب الألفة والتناصر، والتعاضد والتعاون. ومن المعروف أنهم كانوا قبائل متفرقين، وأحزاباً مختلفين،وكانت نيران الحروب مشتعلة بينهم والغارات ثائرة عندهم، فحفظوا أنسابهم ليكونوا متضامنين على خصومهم ومتناصرين على أعدائهم. وفي الاهتمام بالأنساب ما يدعو إلى حَمِيَّة الأقارب وتعاطف الأرحام، مما يبعث على التناصر والألفة، ومما يؤكد المحبَّة بين الأقارب، وقد روي أن الرسول ﷺ قال: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال،منسأة في الأجل، مرضاة للرب"(١). كما روي عن رسول الله صلوات الله عليه أنه كان لا يترك المرء مفرجاً حتى يضمه إلى قبيلة يكون منها،وذلك حثٌّ منه ﷺ على الألفة وكفّ عن الفرقة(٢).

ولا شك أن المعرفة بالأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية، وذلك خلافاً لمن زعم أن الأنساب علم لا ينفع وجهل لا يضر، وقد ردَّ ابن حزم في مقدمة كتابه " جمهرة أنساب العرب" على مَن زعم ذلك بأن علم النسب علم جليل رفيع، وبه يكون التعارف بين الناس، ثم بَيَّنَ أن من علم النسب ما هو فرض على كل أحد لا يسع أحداً جهلهُ، وما هو فرض على الكفاية يقوم به بعض الناس دون سائرهم. فأما الفرض من علم النسب فأَنْ يعلم المرء أن محمداً ﷺ الذي بعثه الله تعالى بدين الإسلام هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، فمن شكَّ فيه أهو قرشي أم يماني أم تميمي أم أعجمي فهو كافر، غير عارف بدينه، اللهم إلا أن يعذر بشدة ظلمة الجهل فيلزمه حينئذ أن يتعلم ذلك، ويلزم من صحبه تعليمه أيضاً. وذكر أن من الفرض كذلك أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في وُلدِ فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أي: في قريش، لأنه يجتمع فيه نسب قريش كلها، ومن الفرض كذلك أن يعرف الإنسان أباه وأمه وكلّ من يلقاه بنسب في رحم

---

(١) الحديث في المسند للإمام أحمد جـ٢ ص٣٧٤.

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جـ٣ ص١٨٣.

محرَّمة حتى يجتنب ما يحرم عليه من النكاح منهم، وكذلك أن يعرف كلّ من يتصل به برحم يوجب ميراثاً أو تلزمه صلة من نفقة أو معاقدة أو نحو ذلك، فمن جهل ذلك فقد أضاع فرضاً واجباً عليه،ولازماً له في دينه.

وذكر ما تكون معرفته من النسب فرضاً على الكفاية كمعرفة أسماء أمهات المؤمنين، وأن نكاحهن على جميع المؤمنين حرام، وكذلك معرفة أسماء أكابر الصحابة رضي الله عنهم وأن حبَّهم فرض على المؤمنين، وأن يعرف فضلَ الأنصارِ ليحسن إليهم ويحبّهم لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبّهم من الإيمان وبغضهم من النفاق. وكذلك معرفة مَن يجب عليه حقّ الخُمس من ذوي القربى، ومعرفة مَن تحرم عليه الصدقة من آل محمد ﷺ ممن لا حقّ له في الخمس،ولا تحرمُ عليه الصدقة(١).

وفي الأنساب يتم التعارف بين الناس،حتى لا ينسب أحد إلى غير آبائه،ولا ينتسب إلى سوى أجداده، قال تعالى: ﴿ **يا أيُّها الناسُ إنا خَلَقْناكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْناكُم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا** ﴾ [الحجرات: ١٢]. ويعتبر النسب في كفاءة الزوج للزوجة في النكاح. ففي مذهب الإمام الشافعي لا يكافئ الهاشمية والمطلبية غيرهما من قريش، ولا يكافئ القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي،وفي الكنانية وجهان أصحهما ألا يكافئها غيرُها ممن ليس بكناني ولا قرشي، وفي اعتبار النسب في العجمي أيضاً وجهان أصحهما الاعتبار، وفي مذهب الإمام أبي حنيفة أن قريشاً بعضهم أكفاء بعض، وأن بقية العرب بعضهم أكفاء بعض، واستثنى بعضهم من ذلك بني باهلة لخستهم، وأما في العجم فلا يعتبر النسب عندهم،فإذا لم يعرف تعذرت معرفة هذه الأحكام(٢). وفي الأنساب يتم مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع: لدينها وحسبها ومالها وجمالها" فراعى ﷺ في المرأة المنكوحة الحسب وهو الشرف في الآباء(٣).

وكان العرب يهتمون بأنسابهم ويحتفظون بكيانها، ويرددونها لأبنائهم، وكان من الضياع عندهم أن يجهل امرؤ نَسَبَهَ ، أو أن يكونَ دَعِيّاً أو مُلصقاً أو نحو ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى عناية العرب بأحسابهم وأنسابهم حيث قال تعالى: ﴿ **فإذا**

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٣.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٥.

(٣) المرجع السابق ص٥.

نُفِخَ في الصُّور فلا أنساب بينهم ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. وكان علماء الأنساب يلقون من التّجلة والمهابة ويلقبون بألقاب التوقير والاحترام، وكانوا يُستفتوْن في المعضلات من الأمور، فيؤخذ برأيهم وتكون كلمتهم الأولى والأخيرة، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نَسّابة وله بهذا الفن معرفة واسعة. وكان جُبَيْر بن مُطعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصيّ من أنسب قريش وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه(١).

وكان العربُ أكثرَ الناس معرفةً بالأنساب وحفظها، ولم تخلُ قبيلة من قبائلهم من نسّابة يُلحق الفروعَ بأصولها وينفي عنها من ليس منها، وممن اشتهر بذلك منهم دَغْفَل بن حنظلة السدوسي من بني شيبان، وورقاء بن الأشعر، وزيد بن الكيس النَّمري والنخَّار بن الأوس بن الحارث بن هُذَيْم القُضاعي، وصَعْصَعَة بن صوحان، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان وكثير غيرهم(٢).

وذكر ابن خلدون في مقدمته أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحشين في القَفْر من العرب ومن في معناهم، وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن،فلما كان معاشهم من القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها، وهي تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها من شجره ونتاجها في رماله، والقفر مكان الشظف والسغب، فصار لهم إلفاً وعادة وربيت فيه أجيالهم، وتمكنت فيه خلقاً وجبلَّة فلا ينزع إليهم أحد من الناس ويساهمهم في حالهم، ولأجل ذلك يؤمن عليهم من اختلاط أنسابهم وفسادها، فلا تزال عندهم محفوظة وصريحة، واعتبر ذلك في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهُذَيل ومَن جاورهم من خُزاعة لما كانوا عليه من شظف الأحوال، وأن مواطنهم غير ذات زرع ولا ضرع(٣).

والواقع أن كلَّ العرب الحضر منهم والبدو كانوا يهتمون بأنسابهم ويحفظونها ويَرْوُونَها لأبنائهم، وقد عرفوا بذلك دون سائر الأمم، فكان من الضياع عندهم ـ كما تقدم ـ أن يجهل امرؤ نسبه، أو أن يكون دَعيّاً أو مُلْصَقاً أو نحو ذلك. فالأنساب فن عربي أصيل اهتم به العرب اهتماماً عظيماً كما تشهد على ذلك كتب التاريخ والأدب. قال النويري: "ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احترزت

---

(١) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام جـ١ ص١٢٦.

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جـ٣ ص١٩٨. وما بعدها.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص١٢٩ ط٤ بيروت.

على معرفة نسبها، وتَمَسَّكَتْ بمتين حسبها، وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها، واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها، ومالت إلى أفخاذها وبطونها وعمائرها، ونفت الدعيَّ فيها ونطقت بملء فيها"(١).

وكان للعرب في هذا الفن اصطلاحات خاصة فيروي النويري أن جميع ما بنت عليه العرب في نسبها أركانها، وأسست عليه كيانها عشر طبقات.

١- الجِذْم: وهو في الأصل إما إلى عدنان وإما إلى قحطان.

٢- الجماهير، أي: الجماعات.

٣- الشعوب: وهي التي تجمع القبائل.

٤- القبيلة: وهي التي دون الشَّعب،وتجمع العمائر، وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض، واستوائها في العدد.

٥- العمائر: وهي القبائل، واحدتها عِمارة، وتجمع البطون.

٦- البطون: وهي التي تجمع الأفخاذ.

٧- الأفخاذ: واحدها فَخِذ، وتجمع العشائر.

٨- العشائر: وهي التي تتعاقل إلى أربعة آباء.

٩- الفصائل: واحدتها فصيلة وهي أهل بيت الرجل.

١٠- الرهط : وهي أسرة الرجل.

ثم ضرب مثلاً لتطبيق ذلك، فقال: "وتمثيل التفصيل:عدنان جذم وقبائل مَعَدٌّ جمهور، ونزار بن معد شعب، ومضر قبيلة،وخِنْدِفُ عِمارة، وكنانة بطن،وقريش فخذ، وقصي عشيرة،وعبد مناف فصيلة،وبنو هاشم رهط"(٢).

وقد رتَّبهم السويديّ ستّ طبقات فذكر أن:

الطبقة الأولى: الشَّعب وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً وسمي شَعْباً لأنّ القبائل تتشعب منه.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري جـ ٢ ص٢٧٦.

(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص٢٧٦ ط دار الكتب.

الطبقة الثانية: القبيلةُ وهي ما انقسم فيه الشَّعب كربيعة ومُضَر،وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها.

الطبقة الثالثة: العِمارةُ وهي ما انقسم فيه أنسابُ القبيلة كقريشٍ وكِنانَة.

الطبقة الرابعة: البطنُ وهي ما انقسم فيه أنساب العِمارة كبني عبد مناف وبني مخزوم.

الطبقة الخامسة: الفَخِذُ وهو ما انقسم فيه أنساب البطنِ كبني هاشم وبني أُميَّة.

الطبقة السادسة: الفصيلةُ وهي ما انقسم فيه أنسابُ الفَخِذ كبني العباس وبني عبد المطلب(١).

وهكذا رتَّبهم أيضاً الإمام الماورديُّ في كتاب الأحكام السلطانية(٢)، وكذا قال غيره من النسابين كالزُّبير بن بَكَّار فاقتصر على ستّ طبقات. شَعب وقبيلة وعِمارة وبطن وفَخِذ وفصيلة(٣).

على أنه إذا تباعدت الأنسابُ صارت القبائل شعوباً، والعمائرُ قبائلَ، والبطونُ عمائرَ، والأفخاذُ بطوناً، والفصائلُ أفخاذاً كما قال الماوردي(٤) ثم إن أكثر ما يدور على الألسنة من الطبقات السابقة القبيلةُ ثم البطن، وقَلَّ أن تُذْكَر العمارة،وكذلك الفَخِذ والفصيلة، وربما أُطلِقَ على كلّ واحد من الطبقات الستِّ الحَيّ، إما على العموم، كأن يُقال: حَيٌّ من العرب،وإما على الخصوص كأن يقال:حَيّ من بني فلان(٥).

والقبائلُ تنتسب غالباً للأب الوالد للقبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك، وقليلاً ما تنتسب القبيلة إلى الأم كخِنْدفَ وبَجيلةَ، وقد تعرف القبيلة بخاصية أو حادث حدث لها كغسان، وهو اسم الماء الذي نزلت به هذه القبيلة.

وللعرب مذاهب واصطلاحات في أسماء القبائل وهي عندهم على عِدَّة وجوه، فالأكثر أن يُطلَق على القبيلة لفظُ الأب كعادٍ وثمودَ ومَدْيَن وما شاكلهم،أو يُطلَق

---

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص٧.

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جـ٣ ص١٨٨.

(٣) العمدة لابن رشيق جـ٢ ص١٩٠.

(٤) سبائك الذهب للسويدي ص٨.

(٥) بلوغ الأرب للألوسي جـ٣ ص١٩٠.

عليها لفظُ البُنُوَّة فيقال: بنو فلان، ويَكثُر ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغيرة ولا سيما في الأزمان المتأخِّرة، وقد ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالطالبيين والجعافرة،وقد كثر ذلك عند المتأخِّرين،وقد يُعَبَّر عنها بآل فلان والمراد بالآل الأهل، كآل ربيعة وآل فضل وما أشبه ذلك، وقد كَثُر ذلك في الأزمنة المتأخرة لا سيما في بلاد الشام، وقد يُعَبَّر عنها بأولاد فلان ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أفخاذ العرب كقولهم أولاد زَعازع وأولاد قريشٍ ونحو ذلك وهو قليل(١).

وذكر الجوهري أن القبيلة هي بنو أبٍ واحدٍ، وقال ابن حزم: جميع قبائل العرب راجعة إلى أبٍ واحدٍ سوى ثلاث قبائل وهي تَنُوخ والعُتق وغسان، فإن كلّ قبيلة منها مجتمعة من عدَّة بطون. كما أنّ الأبَ الواحدَ قد يكون أباً لعدة بطون، ثم إن أبا القبيلة قد يكون له عدَّة أولادٍ فيحدث عن بعضهم قبيلة أو قبائل فينسب إليه مَن هو منهم، ويبقى بعضُهم بلا ولدٍ أو يولد له ولم يشتهر أولاده فينسب إلى القبيلة الأولى(٢).

والواقع أن معرفةَ الأنساب العربية القديمة ضَروريَّةٌ لفهم الأدبِ العربيِّ القديم حتى يمكن الوقوف على المقصود من كثير من النصوص الأدبية، التي كانت تحتوي على أسمائهم وأنسابهم، وكذلك على أسماء الأماكن والمواضع التي كان يرتادها القومُ في حياتهم.

ولهذا عَنَى المؤرخون والباحثون في اللغة والأدب بدراسة هذه الأنساب محاولين الوقوف على أنساب القبائل، وحاولوا الرجوعَ بكلٍّ منها إلى جدِّها الأول وأصلِها الأصيلِ الذي تفرعت عنه، وقد أُلِّفَت في ذلك كُتُبٌ كثيرة.

أصول هُذَيْل:

وقبيلتنا هُذَيْل من القبائل العربية الشمالية العدنانية، وهي قبيلة مشهورة عند العرب،وخاصّة في ميادين الشعر والأدب، وتنتسب هذه القبيلة إلى أبيها هُذَيْل بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، وتلتقي هُذَيْل في نسب الرسول ﷺ عند جَدِّه الخامس عشر مُدْرِكَة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان.

---

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٦.

(٢) المرجع السابق ص٨.

أما عن معنى لفظ هُذَيْل واشتقاقه فقالوا فيه: إنه مُصَغّر تصغير الترخيم، لأنه من هَوْذَلَ الرجلُ ببوله إذا باعَد به،فكأنه تصغير مُهَوْذِلٍ على حذف الزوائد،ويجوز أن يكون لفظ هُذَيْل تصغير هَذْلول، وهو التَّلُّ الصغير من الرمل على تصغير الترخيم أيضاً. وقريب من هذا قول ابن دريد : اشتاق هُذَيْل من الهَذْل وهو الاضطراب. يقال :هَوْذَلَ الرجلُ ببوله إذا اضطرب بولُه فقد هَوْذَلَ[1]. فنرى أن هذا اللفظ تدور مادته على الاضطراب، وهو اسمٌ الصرفُ ومنعهُ جائزان فيه، ولكن الأكثر استعماله مصروفاً.

وإذا أردنا أن نتحدث عن أصلِ هذه القبيلة نقول: إن جميع العرب يرجعون إلى ولد ثلاثة رجال وهم: عدنان وقحطان وقُضاعة[2]. أما عدنان فهو من ولد إسماعيل عليه السلام بلا شكّ في ذلك، إلا أن تسمية الآباء بينه وبين إسماعيل قد جُهلت جملةً،وتكلّم في ذلك بعضُهم إلا أنّه موضع خلافٍ عند العلماء ـ كما سيأتي ـ وأمّا قحطان فمختلف فيه منْ ولدِ مَنْ هو؟ فقال قوم: هو من ولد إسماعيل عليه السلام وهذا باطلٌ بلا شكّ، إذ لو كانوا من ولد إسماعيل لما خصَّ رسولُ الله ﷺ بني العَنْبَر ابن عمرو بن تميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بأن تعتق منهم عائشة. وقد كان عليها نذر عتق رقبة من بني إسماعيل، فصَحّ بذلك أن في العرب مَن ليس من ولد إسماعيل. وأن بني العنبر من بني إسماعيل، فآباؤهم من ولد إسماعيل، فلم يبقَ إلا قحطان وقضاعة.

وقيل: إن قحطان من ولد سام بن نوح، وقيل: من ولد هود عليه السلام، وهذا باطل أيضاً لقوله تعالى في قوم هود: ﴿**وأما عادٌ فأُهْلكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية، سخَّرَها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسوماً، فترى القَومَ فيها صَرْعَى كأنَّهم أعجازُ نخلٍ خاوِية، فهل ترى لهم من باقية**﴾ [الحاقة: ٥-٧] وهو عليه السلام من عادٍ ولم يبقَ لهم باقية. وفي التوراة أنه "قحطان بن عامر بن شالخ بن أَرْفَخشذ بن سام بن نوح.

والحقّ ما ذهب إليه ابنُ حزمٍ فقد ذهب إلى فساد نقل التوراة لما فيها من الكذب الظاهر، ولأن أكثرها مصنوع مولد، ولأنها ليست التي أنزلَها الله على موسى عليه السلام.

---

(١) الروض الأنف للسهيلي جـ٦ ص٢٠١.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٧.

وأما قَضاعة فمختلف فيه فقال قوم :هو قُضاعة بن معد بن عدنان،وقال آخرون : هو قضاعة بن مالك بن حِمْيَر والله أعلم(١).

وذكر السويديُّ أن قُضاعة هي قبيلة من حِمْيَر من القحطانية، وذكر أن هذا هو المشهور في قُضاعة، وعليه جرى ابنُ الكلبيّ وابن إسحاق وغيرهما وقال: "قال في العبر:وقد يحتج له بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ممن يمن قال: مِن قُضاعة بن مالك. وفي ذلك يقول عمرو بن مُرَّة القُضاعي:

نحنُ بنو الشيخ الهِجان الأزهرِ ابن قُضاعةَ المليكِ الحِمْيَري

وذكر أن بعض النسابين ذهب إلى أن قُضاعة من العدنانيين، ويقولون: هذا هو قُضاعة بن معد بن عدنان،قال ابن عبد البر: وعليه الأكثر. وذهب السويديُّ إلى أن الأشهر هو الأول وهو أنهم من حِمْيَر من القحطانيين(٢).

وعلى هذا يرجع العرب كُلّهم إلى رجلين هما عدنان وقحطان. وقال محمد بن سلاّم: "وأخبرني يونس عن أبي عمرو قال: العرب كلُّها من ولد إسماعيل إلاّ حِمْيَر وبقايا جُرْهُم"(٣) ولعله يقصد أن حَمْيَر وبقايا جُرْهُم من القحطانيين كما هو ظاهر.

وقبيلة هُذَيْل باتفاق العلماء من العدنانيين، وهي تنتسب إلى هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولا بأس أن نتحدث عن أصلها البعيد حتى نصل إليها.

أما عدنان فهو من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولا خلاف عند العلماء أنه من ولد إسماعيل، ولكن ما قبل عدنان من الأسماء ـ أي ما بين عدنان وإسماعيل ـ مضطربٌ فيه، ووقع الخلاف فيه بين العلماء، والذي صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه، بل قد رُوي عن طريق ابن عباس أنه ﷺ لما

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٨.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص١٩ (وفي الأصل «الأذهري» و«قضاعة ابن مالك الحمير» وهو تحريف بلا شك). وانظر السيرة النبوية لابن هشام ١ / ١١ ط دار الوخير، سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام، حيث ورد الشطر الثاني هكذا:

قضاعة بن مالك بن حِمْيَرِ

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص٦.

بلغ عدنان قال: (كذب النسابون) مرتين أو ثلاثاً[1]. وذكر السهيلي: أنّ الأصحَّ في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود[1].

وذكر السويديُّ أن بني عدنان قبيلةٌ من ولد إسماعيل عليه السلام، وهم بنو عدنان المنسوب إليهم العرب العدنانية من قريش وكنانة وغيرهم،وذكر أن النسبَ من عدنان إلى آدم قد وقع الاختلاف فيه عند العلماء، ولكن لا خلاف بينهم في أن عدنان من ولد إسماعيل، وذكر أن هذا هو ما رجَّحه ابن سَيِّد الناس وصَحَّحَهُ، وأن الحافظ شرف الدين الدمياطي قال من بعد أن ساق هذا النسب: هكذا ساقه أبو علي محمد بن أَسْعَد بن على النسابة وقال: هذا أصح الطرق وأحسنها وأوضحها ، وهي رواية شيوخنا في النسب[3].

والواقع أن النسب قبل عدنان فيه كثير من الاضطراب والخلط، قال السهيليُّ: "ولذلك ـ والله أعلم ـ أعرض النبيُّ ﷺ عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل لما فيه من التخليط، وتغيير الألفاظ، وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها. وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسماعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحواً من أربعين أباً، ولكن باختلاف في الألفاظ،لأنها نقلت من كتب عبرانية، وذكر من وجه قوي في الرواية عن نُسَّاب العرب، أن نسب عدنان يرجع إلى قَيْذَر بن إسماعيل وأن قَيْذَر كان الملك في زمانه، وأن معنى قَيْذر: الملك إذا فُسِّر"[4].

ومن أدلة اضطرابهم واختلافهم في ذلك أنهم ذكروا أن بين عدنان وإسماعيل نحواً من ثلاثين أباً لا يعرفون، وقيل: هم أربعة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرون أو ثمانية وثلاثون أو تسعة وثلاثون أو أربعون أو فوق هذا.

على أن الخوض في رفع النسب فوق عدنان مختلف فيه عند العلماء من حيث الجواز أو الكراهية، فذهب ابن إسحاق والطبري والبخاري إلى جوازه، وذهب جَمْع من العلماء إلى كراهة ذلك ومنهم الإمام مالك رحمه الله، فإنه لما سُئِل عن الرجل

---

(١) الروض الأنف للسهيلي جـ ١ ص٦٦.
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص٦٦.
(٣) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص١٩.
(٤) الروض الأنف للسهيلي جـ ١ ص٧٠.

يرفع نسبه إلى آدم كره ذلك، قيل له : فإلى إسماعيل، فأنكر ذلك أيضاً وقال: ومَنْ يخبره به؟ !(١) وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إنما ننتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا نعرف ما هو؟(٢).

ثم إنه وردت آثار تفيد منع رفع النسب بعد عدنان منها ما ورد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: "لا تجاوزوا معدّ بن عدنان" ومنها ما روي عن ابن عباس أنه قال: إن النبي إذا انتسب لم يجاوز معدّ بن عدنان بن أدّ ثم يمسك ويقول: "كذب النسابون" مرتين أو ثلاثاً(٣).

وذكر السويديُّ أن سبب الاختلاف فيما بين عدنان وآدم أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كُتُب يرجعون إليها، وإنما كانوا يرجعون إلى حفظ بعضهم من حفظ بعض، فهم أُمَّة أُمِّيَّة تعتمد على الذاكرة لا على التدوين. وفي كلام ابن الجوزي أن سبب الخلاف المذكور هو اختلاف اليهود فإنهم اختلفوا اختلافاً متفاوتاً فيما بين آدم ونوح وكذلك في غيرهم من الأنبياء(٤).

أما ولد عدنان فهم مَعَدُّ بن عدنان، وعَكُّ بن عدنان وقيل: إن اسمه الحارث وقيل أيضاً: عَكُّ بن الدِّيث بن عدنان(٥) وبنو معدٍّ: بطن من بني عدنان وهو بطن متسع ومنه تناسل جميع بني عدنان(٦).

وأما ولد معدّ بن عدنان ـ وهو ـ في عمود النسب ـ : فهم نزار بن مَعَدّ وإياد بن معدّ، وقَنَصُ بن معدّ، وقيل: وعُبَيْد الرماح بن معدّ، والضحاك بن معدّ(٧). وأما ولد نزار بن معدٍّ بن عدنان –وهو في عمود النسب كذلك– فهم مُضَرُ وربيعةُ وإيادٌ وأنمار، وقيل: إن خَثْعَم وبَجيلة من ولد أنمار، وذكر ابن حزم أن الصحيح المحض الذي لا شكّ فيه أن قبائل مضر وقبائل ربيعة بني نزار وكذلك من تناسل من إياد ومن عَكّ هم صرحاء ولد إسماعيل عليه السلام، ولا يصحّ ذلك لغيرهم البتةَ(٨). وهذا ما عليه أكثر العلماء والنسابين.

---

(١) الروض الأُنف للسهيلي جـ ١ ص٨٣.
(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص٦٦.
(٣) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص١٩.
(٤) المرجع السابق ص١٩.
(٥) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٩.
(٦) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٢٠.
(٧) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٠.
(٨) المرجع السابق ص١٠.

ويروى عن نزار أنه لما حضرته الوفاة دعا أولاده الأربعة، وقال لإياد: هذه الجارية الشمطاء وما أشبهها لك، وقال لأنمار: هذه البَدْرَة والمجلس وما أشبهها لك، وأعطى ربيعة حبالاً سوداً من شعر وقال: هذا وما أشبهه لك، وأعطى قُبَّةً حمراء لمضر وقال: هذا وما أشبهها لك، ثم قال: وان اختلفتم في شيء فأتوا الأفعى بن الأفعى الجُرْهُمي ملك نجران. وروي أنهم أتوه بعد موته، فأخبروه بوصية أبيهم، فقال لإياد: لك الغنم البُرش ورعاؤها، وقال لأنمار: لك الأرض وما في معناها ،وقال لربيعة :لك الخيل الدُّهم وما أشبهها، فقيل له: ربيعة الفرس وقال لمضر: لك الإبل الحمر، فقيل: مضر الحمراء، وذلك في كلام يطول ذكره[١].

وأما ولد مضر بن نزار بن معد بن عدنان ـ وهو في عمود النسب ـ فهما إلياس بن مضر وقيس عَيْلان بن مضر،وقال قوم: قيس بن عَيْلان بن مضر، ولكن الصحيح أنه قيس عيلان بن مضر كما قال ابن حزم[٢] الذي استشهد بقول الشاعر:

أنا ابنُ خِنْدِفَ تَنْمِيني قبائلُها للصالحاتِ وعَمِّي قَيْسُ عَيْلانَا[٣]

ومضر أهل الكثرة والغلبة بالحجاز، وكان لبني مضر الرياسة بمكة والحرم، ويُروى أن مضر كان أول من سَنَّ حُداء الإبل، وأنه كان من أحسن الناس صوتاً[٤].

وأما ولد إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ـ وهو في عمود النسب ـ فهم عامر وهو مُدْرِكَة، وعَمرو وهو طابخة،وعُمَير وهو قَمَعَة ، وأمهم خِنْدِف من قُضاعة فنسبوا إليها، وخزاعة من ولد قَمَعَة المذكور ويقال: إن إلياس كان يكنى أبا عمرو وهو أول من أهدى البُدْن إلى البيت الحرام، ولقب امرأته خِنْدِف واسمها ليلى بنت حلوان ابن عمران بن الحاف بن قُضاعة. وقيل: إنها سميت خِنْدِف لأن إلياس رآها يوماً تمشي فقال لها: مالك تخندفين[٥]. وقال الجوهري: وجميع بني إلياس بنوها ويقال لبنيها خِندِف[٦].

---

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٢٠.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٠.

(٣) البيت لنصر بن سيار كما ذكر ابن حزم.

(٤) الروض الأنف للسهيلي جـ ١ ص٦٢.

(٥) يقال: خَنْدَف الرجلُ إذا مشى يقلب قدميه وكأنه يغرف بهما.

(٦) سبائك الذهب ص٢١.

وذكر النويري أن مُدْركة بن إلياس اسمه عمرو وأمه خِنْدف وهي ليلى بنت حلوان القُضاعية. وروي في تسمية مُدْركة أن أباه إلياس خرج منتجعاً، ومعه أهله وماله، وحدث أن دخلت بين إبله أرنبٌ،فنفرت الإبل، فخرج أولاد إلياس، فأدركها عمرو فسماه أبوه مُدْركة، وأن أُمّه ليلى خرجت تهرول، فقال لها إلياس: مالَك تُخَنْدفين؟ فسميت خِنْدف، وذكر أن عامر بن إلياس أخو مُدْركة خرج في طلب الأرنب فاصطادها وطبخها فقال له أبوه إلياس: أنت طابخة، ثم رأى عُمَيْراً أخاهما قد انقمع في الظُلّة وهو يخرج رأسه منه، فقال له أبوه إلياس: أنت قَمَعَة[1].

ويذكر الطبري أن أم بني إلياس خِنْدفَ هي امرأة من أهل اليمن، فغلبت على نسب بنيها،فقيل: بني خِنْدف، وذكر أنه كان اسم مدركة عامراً، واسم طابخة عَمْراً، وروي أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاصطادا صيداً وقعدا عليه يطبخانه ثم عدت عادية على إبلهما، فقال عامرٌ لعمرو: أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو بل أطبخ الصيد. فلحق عامر الإبل فأدركها وجاء بها، فلما ذهبا إلى أبيهما وحدثاه بشأنهما، قال لعامر: أنت مُدْركة وقال لعمرو: أنت طابخة[2]: ويذكر الطبري رواية أخرى عن هشام بن محمد، وهي أن إلياس خرج في نُجْعَة له فنفرت إبله من أرنب، فخرج إليها عمرو فأدركها فسمِّي مُدْركة، وأخذ عامر الأرنب فطبخها فسمِّي طابخة، وانقمع عُميرٌ في الخباء ولم يخرج منه فسمِّي قَمعَةَ، وخرجت أمهم تمشي فقال لها إلياس:أين تُخَنْدفين؟ فسميت خِنْدف، وروي أن إلياس قال لعمرو ابنه:

إنَّكَ قد أَدْرَكْتَ ما طَلَبْتَا

وقال لعامر: **وأنت قد أَنْضَجْتَ ما طَبَخْتَا**

وقال لُعُمير: **وأنت قد أَسَأتَ وانْقَمَعْتَا**[3]

ونلاحظ في الروايات السابقة أنه قد وقع خلاف في اسم مُدْركة، فمرة يقال: عامر، ومرة يقالُ: عَمرو، ولكن الصحيح هو ما ذهب إليه أكثر العلماء والباحثين من أن مُدْركة كان اسمه عامراً، وبهذا قال ابن حزم في الجمهرة[4] وكذلك غيره من العلماء.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري جـ ٢ ص٣٤٨.

(٢) تاريخ الطبري جـ ٢ ص٢٦٦ ط دار المعارف.

(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص٢٦٧.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٠.

وذكر ابن قتيبة أنه يقال لولد إلياس بن مضر: خِنْدفُ، لأن امرأة إلياس كان يقال لها: خِنْدف، فنسب ولد إلياس إليها وهي أُمُّهم، وذكر أن ولده: مُدْرِكة بن إلياس وطابخة بن إلياس، وقَمَعة بن إلياس، فأما قَمَعَة فقال بعض النساب: إن خُزاعة من ولده، وزعم قوم أنهم من اليمن من ولد عمرو بن عامر، وذكر أن خِنْدفَ كلّها ترجع إلى مدركة وطابخة، وأن قَمَعةَ بن إلياس بن مضر هو قَيْسُ عَيْلان، وبذلك ترجع مضر كلها إلى هذين الحيَّين خِنْدِف وقَيْس(١).

وفي دائرة المعارف الإسلامية أنه كان له ولدان: إلياس وعَيْلان الناس، وقد أعقب إلياس ثلاثة أبناء من زوجته ليلى بنت حلوان المعروفة بخِنْدف، ومن ثم عرفت سلالتها ببني خِنْدف،وهؤلاء الأبناء الثلاثة هم مُدْرِكة وطابخة وقَمَعَة، وقد أصبح الوالدان الأولان جَدّيْن لقبائل عظيمة ذات شأن. وذلك أن مُدْرِكة أعقب هُذَيْلاً وخُزيمة وكذلك غدا خُزيمةجدّاً لأسد وكنانة، وإلى كنانة تنتسب قريشٌ وغيرُها من القبائل. وأما طابخة فمن سلالته ضَبَّة وعَبْدُ مَناة(٢)، واشتهر بنو إلياس ببني خِنْدِف، ويروى أن قُصيَّ بن كلاب قال:

أُمَّـهَـتِي خِنْدف وإلِيـاسُ أَبِي(٣)

وأما ولد مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ـ وهو في عمود النسب ـ فهم خُزَيْمة بن مُدْرِكة، وهُذَيْل بن مُدْرِكة، وقيل: وغالب بن مُدْرِكة ويقال: إن ولد غالب دخلوا في بني الهُون بن خُزَيمة بن مدركة، وأما ولد خُزَيْمة بن مدركة ابن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان فهم كِنانة بن خُزَيْمَة، وأَسَد بن خُزَيْمة، والهُون ابن خُزَيْمة(٤). وأُمّ خُزَيْمة هي سلمى بنت سُلَيْم بن الحاف بن قُضاعة، وهُذَيْل أخوه لأبيه وأمِّه، وأخوهما لأمهما تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة. وقيل: إن أُمّ خُزَيْمة وهُذَيْل هي سلمى بنت أسد بن ربيعة(٥). وخُزَيْمة تصغير خَزْمَةَ ويكنى أبا أسد، وهو الذي نصب هُبَلَ على الكعبة(٦).

---

(١) كتاب المعارف لابن قتيبة ص٣٠.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية –مادة ربيعة ومضر– مجلد ١٠ عدد١ ص٣٧.

(٣) تاريخ الطبري جـ ٢ ص٢٦٦.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١١.

(٥) تاريخ الطبري جـ ٢ ص٢٦٦.

(٦) سبائك الذهب للسويدي ص٢٣.

وقد اتضح مما سبق أن هُذَيْلاً أخو خُزَيْمة وكلاهما أبناء مُدْرِكة،وبهذا نلاحظ مدى صلة القرابة بين هُذَيل وقريش، لأن خُزَيْمة تفرع منه أَسَد وكنانة وإلى كنانة تنتسب قريشٌ وغيرها من القبائل، فندرك ما بين هُذَيْل وقريشٍ من صلة القرابة والنَّسَب، لأن مُدْرِكَة هو الجدّ الخامس عشر للرسول ﷺ.

فروع هذيل وبطونها:

المشهور عند العلماء والنسابين أنه تفرع من هُذَيْل بن مُدْرِكة بطنان هما:

سَعْد بن هُذَيْل ولحْيان بن هُذَيْل. فقد ذكر ابن حزم في الجمهرة(١) أن ولد هُذَيْل بن مُدْرِكَة، هما سَعْد ولحْيان، وأن ولد لحْيان بن هُذَيل: طابخة، ودابغة ولهم عدد. وذكر أن من ولد دابغة المحبِّقَ واسمه صخر بن عُبيد بن الحارث وابناه سَلَمة وسِنان اللذان روي عنهما الحديث. وقال: إن من بني طابخة: أسامة بن عُمَير، وله صحبةٌ وابنه أبو المَليح المحدّث، وأن منهم أبا قِلابة الحارثَ بن صعصعة بن طابخة بن لحْيان وهو أول شعراء هُذَيْل.

وأما ولد سَعْد بن هُذَيْل فهم خُرَيْب وخُنَاعة ورُهْم وتميم، فمن ولد خُرَيْب أبو كبير الهذلي الشاعر، وذكر أن خُنَاعة بطن وكذلك رُهْم وتميم، وقد أعقب تميمٌ الحارثَ ومعاويةَ وعوفاً ولكن العدد في بني معاوية، وذكر أن منهم عبد الله بن مسعود وأخويه عُتْبةَ بن مسعود وعُمَيس بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. وكذلك عبد الله وعون ابنا عتبة بن مسعود، ثم أبو عبيدة وعبد الرحمن وعتبة بنو عبد الله بن مسعود ولهم بقية وعدد، وكذلك المؤرخ المسعودي ـ صاحب مروج الذهب ـ فإنه من وُلْد عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود وهو عليّ بن الحسين بن علي بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وذكر أن أم عبد الله بن مسعود هي أُمُّ عَبْد وهي من المهاجرات الأُول من بني قُرَيْم بن صاهلة بن كاهل ثم عمرو بن عُمَيْس بن مسعود، وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود، وقد كان والياً لعليٍّ على القُطْقُطَانَة، فقتله هناك عاملُ معاويةَ الضَّحاك بن قَيْس الفِهريُّ(٢).

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٩٦.

(٢) المرجع السابق ص١٩٧.

أما السويديُّ فذكر أن بني هُذَيْل بطن من خِنْدف من مضر، وأنه كان لهُذَيْل من الولد سَعْد وخَبّاب بطن، وعُمَيْر وهَرْمة بطن. ثم ذكر أن هُذَيْلاً أعقب سَعْداً ولِحْيان وعَمَيْرةَ وهَرْمة وخَبّاباً،وأن سَعْداً أعقب غُنْماً، وأنّ غُنْماً أعقب الحارثَ، وتفرع من الحارث: عَمرو وكاهل، وذكر أن بني عمرو بطن من هُذَيْل، وأنه تفرع من كاهل صاهلة وصُبْح،وأن بني صاهلة بطن من هُذَيْل، ومنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ. وأن بني صُبْح بطن من كاهل من هذيل، وأن منهم أبا بكر الهذلي الصُّبْحي. أما لِحْيان فبنوه بطن من هُذَيْل، وذكر أنه كان له من الولد طابخة ودابغة، فاتفق بذلك مع ابن حزم، وقال: إن منهم أُمامة بن عُمَيْر الفقيه، وأنه كان شريفاً في قومه،ثم ذكر هَرْمَة وخَبّاباً وعُمَيْرة على أنهم أبناء لهُذَيْل بن مُدْرِكة وقال في هَرْمَة وبنيه: بطن من هُذَيْل، وقال في خَبّاب كذلك، ولكنه توقَّف عندهما،وقال في عُمَيْرة وبنيه: بطن من هُذَيْل، وذكر أنه أعقب سَعْداً وأن بني سعد بن عُمَيرة بطن من هُذَيل، وذكر أن سَعْداً أعقب خُنَاعَة، وأن بني خُناعَة بطن من هُذَيْل، وأن خُناعَة أعقب تميماً، وأن بني تميم بطن من هُذَيل، وذكر أن تميماً هذا أعقب ثلاثة: الحارثَ وعوفاً ومعاوية، وأن بني الحارث بطنٌ من هُذَيْل وكذلك بنو عوف بطن من هُذَيْل، ثم بنو معاوية بطن من هُذَيْل كذلك(١).

ولا بأس أن نعرض لما يقوله ابن قتيبة: "فأما هُذَيْل فهو هُذَيْل بن مُدْرِكَة بن إلياس ابن مضر، وولده ثلاثة: سعد ولحيان وعمير، والعدد في سعد بن هُذيل: تميم بن سَعْد،وحُرَيْث بن سعد، وَمَنَعَة بن سعد، وخُزاعة بن سعد وجُهامَة بن سعد، وغُنْم بن سعد، والعدد في تميم، فولد تميم: معاوية بن تميم، والحارث بن تميم، والعدد في معاوية، وأما الحارث فهو رهط عبد الله بن مسعود"(٢).

ولكنا نلاحظ الاضطراب فيما ساقه السويديُّ، فقد ذكر أن تميماً أعقب الحارثَ وعوفاً ومعاوية، وأن تميماً بن خُنَاعة بن سَعْد بن عُمَيْرة بن هذيل، فاختلف بذلك مع ابن حزم، الذي لم يذكر عُمَيْرَةَ ابناً لهُذَيْل، وكذلك لم يذكر هَرْمَةَ وخبّاباً أيضاً على

---

(١) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب للسويدي ص٢٣.

(٢) كتاب المعارف لابن قتيبة ص٣٠.

أنهما أبناء لهُذَيْل، فانفرد السويديَّ بأن ولد هُذَيْل بن مُدْرِكة خمسة هم: سَعْد ولِحْيان وهَرْمَة وخبّاب وعُمَيْرة.

ويبدو لي أن كثرة البطون التي تفرعت من قبيلة هُذَيْل ، وكذلك كثرة الأفخاذ التي تفرعت من البطون. كلّ هذه الكثرة ترتب عليها عدم الدّقة عند الرواة، خاصة أنهم كانوا يعتمدون على الرواية الشفوية لا على الكتابة والتدوين. فالمهم هنا أن نلاحظ كثرة البطون والأفخاذ عندهم. قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد: "بطون هُذَيْل وجماهيرها: منهم لِحْيان بن هُذَيْل بطن، وخُزاعَة بن سَعْد بن هُذَيْل بطن، وحُرَيْثُ بن سَعْد بن هُذَيْل بطن، وكاهل بن سَعْد بن هُذَيْل بطن، وصاهلة ابن كاهل بن الحارث بن سَعْد بن هُذَيْل بطن، وصُبَيح بطن وكعب بن كاهل بطن"(١).

ونلاحظ أن اهتمام ابن عبد ربّه في البطون التي أعقبها سَعْد وأولاده، وأنه أهمل ولد لِحْيان ولم يورد أحداً منهم. ولعل ذلك يرجع إلى أن سَعْداً كان كثير الولد فتشعبت منه البطون والأفخاذ والعشائر. مع أن أبا سعيد السُّكَّريَّ يقول عن بني لِحْيان: " كان من شأن بني لِحْيان من هُذَيل أنّها كانت شَوْكَةً من هُذَيْل ومَنَعَةً وَبَغْياً، وكانوا أهل الهُزُوم ورَخْمَةَ وأَلْبَانَ وعِرْقٍ، وكانت لهم مياهُ كَسَاب"(٢). وقد ذكر ابن حزم في موضع آخر البطون المشهورة من بني هُذَيْل بن مُدْرِكة فقال: "وهم بنو لِحْيان بن هُذَيْل بن مُدرِكة وبنو مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل بن مُدركة، وبنو قِرْدِ بن مُعاوية بن تميم بن سَعْد بن هُذَيْل"(٣).

والحقّ أن ولد هُذَيْل بن مُدْرِكة هما لِحْيان وسَعْد، وأن جميع البطون والأفخاذ قد تفرعت عنهما، كما ذكر ذلك ابن حزم وغيره من العلماء والنسابين، أما انفراد السويديّ بروايته، أن هُذَيْل بن مُدْركة قد أعقب هرْمَةَ وخبّاباً وعُمَيْرة بالإضافة إلى سَعْد ولِحْيان، فكيف نفسر هذه الرواية؟ هل هو الاضطراب الذي كان عند الرواة لا سيما أنهم كانوا يعتمدون على الرواية الشفوية، أو أن هِرْمة وخبّاباً وعُمَيْرة قد

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص٤٧.

(٢) كتاب شرح أشعار الهذليين جـ ٢ ص٧٠٩.

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٦٦.

انقرضت بطونهم وترتب على ذلك أن أهملهم النسابون؟ والمعروف على أيَّة حال أن مثل هذا الخلاف ليس غريباً على النسابين، وخاصّة أن القدماء كان جُلّ اعتمادهم على الرواية الشفوية لا على ضبط الكتابة والتدوين.

ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ هُذَيلاً قد أعقب سَعْداً ولِحْيان، وهذا بإجماع العلماء والنسابين، فهذا النويريّ يقول: "ومن مُدْرِكة - غير عمود النسب - بنو هُذَيْل بن مُدْرِكة، ومن هُذَيل: بطنان لصلبه: بنو لِحْيان وسَعْد، ومن قبائل سَعْد بن هُذَيْل: بنو خُناعَة بن سَعْد، وبنو صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل، منهم: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة الصحابيّ، أحد القراء رضي الله عنه"(١) وفي معجم قبائل العرب قال المؤلف في سياق كلامه عن هُذَيل بن مُدْرِكة: "وهم بطنان: سَعْد بن هُذَيْل، ولِحْيان بن هُذَيل"(٢) ويكفي أن لهذيل هذين البطنين اللذين تفرع عنهما كثير من البطون والأفخاذ والعشائر، واللذين أنجبا الكثرة الكاثرة من الرجالات الذين اشتهروا في شتى الميادين، سواء ميادين الشعر والأدب، أو ميادين الفروسية والقتال، وغير ذلك مما تُحَدِّثنا عنه كتبُ التاريخ والأدب.

على أن بعض شعراء هذيل قد تعرض لذكر بعضِ القبائل والبطون التي تفرغت عن ولد هُذَيْل، فهذا حُذَيْفَةُ بنُ أنسٍ يقول:

فَـرَّتْ بنو قَـرْدٍ وبُرْدٌ ومـازِنٌ ... ولِحْيانُ والفُلْجُ والشِّفاه الجآنبُ
خُناعَةُ ضَبْعٌ دَمَّجَتْ في مَغارةٍ ... وأدْرَكَها فيها قِطارٌ وراضبُ
وفَرَّتْ بنو سَهْمٍ يَجُرُّون ساهِفاً ... لِجُمَّتِه من ناصِعِ الدُّهْنِ صائبُ
وفَرَّتْ خُثَيْمٌ يَحْطِمُونَ وعِشْرِقٌ ... كِمارُهُمُ كأنَّهُنَّ المَذانبُ
وفَرَّتْ جُرَيْبٌ بعد ما قال رَجْلُهُمُ ... سَنَرمِي نُحُورَ القومِ أو سَنُضَارِبُ(٣)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري جـ ٢ ص٣٤٨.

(٢) معجم قبائل العرب للأستاذ عمر رضا كحالة جـ ٣ ص١٢١٣.

(٣) كتاب شرح أشعار الهذليين جـ ٢ ص٥٥١.

وقال أبو سعيد السكري: "بنو قِرْدٍ وبُرْدٌ وسائرُ هذه القبائل من هُذَيْل"(١) فنرى أن هذا الشاعر قد ذكر في أبياته من بطونهم بني قِرْدٍ وبُرْداً ومازناً ولِحْيان وخُناعَة، ثم بني سَهْم وخُثَيْم وعِشْرق وجُرَيْب، وقد ذكر السُّكَّريُّ أنَّ جميعهم من هُذَيْل.

وأما عن هُذَيل في العصر الحديث، فلا يزال الهذليون يقيمون في أماكن متفرقة بين مكة والمدينة،على ما ذكرنا في الفصل السابق - وهم يعيشون حياة بادية في أماكن متفرقة وخاصّة قرب مكة والطائف، يقول الأستاذ محمد حسين هيكل:"وفيما تجري السيارة مسرعة حيناً، متعثرة بالأحجار المنثورة في الطريق حيناً آخر، لفت رفيقي نظري إلى وادٍ تتخطاه وذكر لي أنه وادي وَجّ، وأنه يمر بقرية المُثَنَّاة منحدراً إلى ناحية الطائف، وأن الماء الذي يسيل به في فصول الأمطار ينحدر من جبل بَرَد ومن جبال الطلحّات حيث تقيم بعض قبائل هُذيل..."(٢) والطلحات إحدى عشائر هُذَيْل.

وذكر الأستاذ عمر رضا كحالة في معجم قبائل العرب أن هُذَيْلاً من قبائل الحجاز المهمة، وأنها تنقسم إلى قسمين: شماليّ وجنوبيّ، وتقع ديار هُذَيْل الشمالية في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب، وبالأخص في أطراف مكّة والطائف بقرب جبل بَرَد وجَبَل ذَكا المشهور. وذكر أن القسم الشمالي يتألف من سبعة أفخاذ وهم: المَطَارِفة والمَساعيد والسَّواهِر ولِحيان وعمرو أو عُمَيْر والجَنَابر، وأما القسم الثاني فيُدْعَى هُذَيْل اليمن ويتألف من خمسة أفخاذ وهم النَّدَوِيَّة ودعد، والسَّراونة والعاهلة وجميل(٣).

وذهب الدكتور أحمد كمال زكي إلى التشكيك في هُذَيْل وفي وجودها في العصر الحديث، وأخذ يشكِّكُ في أن هذه البطون الاثنى عشر - التي ذكرها معجم قبائل العرب وغيره - ترجع في أصلها إلى هُذَيْل بن مُدْرِكة بن إلياس فنراه يقول: "قيل إن ثَمَّةَ قبيلة أخرى تحمل اسم هُذَيْل وكانت تسكن أطراف مكةَ وعند الطائف(٤)، ولكنها لم تنسب إلى أبٍ، ولم يُعرَف لها أصلٌ، ولا ترجع على أي حال إلى مُدْرِكة ابن إلياس ولست أعرف - في الحق - وجهاً يرجّح صحة هذا القول، ولا أريد أن أذهب

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين، جـ٢ ص٥٥١.

(٢) في منزل الوحي للأستاذ محمد حسين هيكل ص٣٣٢.

(٣) معجم قبائل العرب للأستاذ عمر رضا كحالة جـ٣ ص١٢١٣.

(٤) راجع على سبيل المثال (معجم قبائل العرب) لعمر رضا كحالة ٣: ١٢١٣.

في تأويل وجود هذه القبيلة أي مذهب، ويكفي أن نسألَ: لماذا لم يعرض لها القدماء من محققي الأنساب؟ لماذا لم يذكرها ابنُ حزم مثلاً في جمهرته؟.

إن الحديث عن هذه القبيلة وبطونها الاثني عشر[1] لم يجر إلا حديثاً، ولم يكن له حظ من شيوع إلا في هذه الأيام. ألا يدلّ ذلك بوجهٍ ما على أن هذه التسمية وجدت فيما بعد، بل ربما في العصر الحديث فقط؟ بل أكاد أُومن أن انتساب البطون الاثني عشر - بغير وجه حقّ - إلى هُذَيْل ليس إلا لما خَلَّفَتْه هذه القبيلةُ في نفوس الحجازيين من الحميَّة والشجاعة والإباء. على أن خير موقف إزاء هذا إنما هو موقف الشكِّ حتى يستطيع التاريخ الصحيح أن يقول كلمته فيتبدد كلُّ غموض[2].

ولست أدري - في الواقع - لماذا هذا الشكّ وخاصَة أن القبائلَ العربية لا تزال تعيش بنسلها وذُرِّياتها، تعيش في الجزيرة العربية وغيرها من بلاد العرب،فهل انقرضَ نَسْل قبيلةِ هُذَيْل بن مُدْرِكه وذُرِّيتها؟ وهل انقرضت بطونُها وأفخاذُها حتى نشكّ في وجودهم في العصر الحديث؟ الواقع أنهم لم ينقرضوا، فلماذا إذن نشكّ في وجودهم في العصر الحاضر لا سيما أنهم يقيمون في البلاد والأماكن التي كانت تقيم بها هذيل قديماً؟ .

أما تساؤل الدكتور أحمد كمال زكي عن القدماء من مُحَقِّقي الأنساب لأنهم لم يعرضوا لهذه البطون الاثني عشر وتساؤله كذلك لماذا لم يذكرها ابن حزم في جمهرته؟ قلتُ: أرى وجهاً لهذا التساؤل، لأنّ هذه البطون الاثني عشر هي بطون هُذَيْل وأفخاذها وعشائرها في العصر الحديث، فكيف نتوقع من ابن حزم الذي توفي عام ٤٥٦هـ أي قبل أكثر من تسعة قرون أن يذكرها في جمهرته؟ فابن حزم وغيره من القدماء ذكروا بطونَ هُذَيْل وأفخاذَها التي كانت في العصر الجاهليّ والإسلاميّ، أما بطونها وأفخاذها في العصر الحديث فالكلام عنها على عاتق الكتاب المُحْدَثين.

وأعتقد أنّ ذلك كان سهواً من الدكتور أحمد كمال زكي، لأن كثيراً من الباحثين قد ذكروا بطون هُذَيْل وأفخاذها في العصر الحاضر، فإنه بالإضافة إلى معجم

---

(١) في الأصل الاثنتي عشرة، وهو خطأ أصلحناه.

(٢) شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والإسلامي د. أحمد كمال زكي ص٤.

قبائل العرب نجد "الرحلة الحجازية" للبَتَنُوني[١] و"تاريخ نجد" للألوسي[٢] وكذلك كتاب "قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة" تتحدث عن وجودهم حديثاً.

وقد ذكر بروكلمان في تاريخ الأدب العربي عندما تحدث عن ديوان هُذَيْل ذلك فقال عن قبيلة هُذَيْل: "الذين يُوطنون إلى العصر الراهن في سَراة هُذَيْل بين مكة والمدينة، وهي تمتد جنوباً إلى الطائف"[٣] كما ذكرت دائرة المعارف الإسلامية الإنجليزية ـ مادة هُذَيْل ـ أن هُذَيْلاً تواجدت على جبل القرى ـ وهو سلسلة من الجبال حول الطائف ـ وعلى إحدى القمم من هذه الجبال قرية رأس الطائف وهي أجمل بقعة في الحجاز، وهي مشهورة بمائها العذب، كذلك ذكرت أنهم حلّوا بذلك المكان مع قطعانهم الكثيرة، وزرعوا القمح والشعير في وديان تلك الجبال الجميلة، كما ذكرت أن بيوتهم الجميلة الصغيرة النظيفة قد تبعثرت على السهل في مجموعات من أربعة إلى خمسة بيوت، وهذه البيوت مبنية من الحجارة أو الطين، وذكرت كذلك أن هناك هُذَليون في ضواحي مكة الجنوبية، حيث يبيعون البلح (التمور) والحنطة والأغنامَ، ثم ذكرت أنهم كانوا تحت حُكْم مكة، ولم يدفعوا الضرائبَ مؤقتاً وذلك قبل أن يتغلب عليهم الوهابيون[٤].

أما الأستاذ فؤاد حمزة فقد تكلَّم عن قبيلة هُذَيْل وبطونها وأفخاذها في العصر الحاضر، وذكر بطونها وأفخاذها بالتفصيل، وقد تكلم في كتابه ـ قلب جزيرة العرب عن القبائل العربية في العصر الحاضر، وصرف النظر عن ترتيب القبائل حسب الجاه والمكانة، ولكنه رَتَّبها على حروف المعجم، وذكر أنه لم يحاول تقدير عدد نفوس كلّ قبيلة نظراً لصعوبته، وتعذر الحصول عليه في العصر الحاضر[٥]. والحقّ أنه اهتمّ بالأماكن والمواضع التي يقيمون فيها، واهتمّ كذلك بالبطون والأفخاذ والعشائر التي تفرعت من القبائل العربية.

وتكلم عن قبيلة هُذَيْل في العصر الحاضر، وذكر أنها من قبائل الحجاز المهمَّة وأنها تنقسم إلى قسمين: شماليّ وجنوبيّ، فالأول تقع دياره في أطراف مكة من

---

(١) الرحلة الحجازية لمحمد لَبيب البَتَنُونيّ ص٥٢.

(٢) تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي ص٩٠.

(٣) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان جـ ١ ص٨٢.

(٤) The Encyclopeadia Of Islam 2- P. 329.

(٥) قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة ص١٢٧ وقد تقدم هذا الكلام في الفصل السابق.

جهة الشرق والجنوب، وخاصّة في أطراف مكّة والطائف، بقرب جبل بَرَدٍ وجبل ذكا المشهور.

فالقسم الأول وهو هُذَيْل الشمال يتألف من سبع عشائر هي: المَطارِفة بوادي فاطمة، المسَاعيد في السيل، السَّواهر في السيل أيضاً، لِحْيان إلى الشرق من مكة عَمْرو أو عُمَيْر على يمين الطريق من مكة إلى جدة، الجَبَابِر بجبل الكُرّ، وهناك يسمون باسم المواقع التي يقيمون فيها،فيدعون: السَّعايد والحساسنة والكباكبة والمجاريس.

وأما القسم الثاني وهو هُذَيْل اليمن، فيقيمون في الجنوب، ويسكنون شمال اليمن في عسير، ويتألف من الأقسام الآتية:

١- النَّدَوِيَّة، وفيه ثلاثة فروع: المَرَازيق، والجِيسَة ، والجُملَة.

٢- دعد، وفيه ثلاثة فروع : الحَسْنان ، وآل يَعْلى ، والظَّبَّان.

٣- السَّراوِنة،وفيه ثلاثة فروع: الظَّهْوان، وآل عَلْيَا ، والمجاريس.

٤- العاهلة.

٥- جَميل، وفيه أقسام وفروع عديدة أهمها: الطُّلوح، الحساسِنَة العَبْدَة، المسْوَدَة.

فمن الطلوح: آل خالد، وآل صالح، ومن آل خالد يتفرع: آل راشد وآل عَطَّاف، ومن آل صالح يتفرع: الطَّلحات، ومنهم آل راشد وآل مَنْيف، والأعصاب وآل مَنَّاع ومنهم البَقْلة. وآل حُمَيْد وآل زيدان، ثم من المسودة يتفرع :بنو إياس والسَّوالِمة، وآل محمود والجَوابِرَة، وآل زيد الفَرَح، وكعب.

فمن الفَرَح : آل محْسِن، وآل كامل، والدُّعْجان وآل ساري. ومن آل زيد يتفرع : القنْعان والمحاميد. ثم من الجَوابِرَة يتفرع : آل حسن وآل حَمْدان وآل عَلِيّ ومن السَّوالِمَة: البزدَة وآل فرح[1].

وكان الهذليون يعتزون أيّما اعتزاز بانتسابهم إلى هُذَيْل، وكثيراً ما افتخر شعراؤهم بهذا النسب، فهذا أُميَّة بن أبي عائذ يفتخر بُهذَيْل وعِزّتها ومنعتها وغلبتها في الخصومات، يقول:

---

(١) قلب جزيرة العرب للأستاذ فؤاد حمزة ص٢٠٢.

هُذَيْلٌ حَمَوْا قَلْبَ الحِجازِ وإنما ... حِجازُ هُذَيْلٍ يَفْرَعُ الناسَ من عَلُ
إذا نظَرَ المُخْتالُ بالبُغْضِ نَحوَنا ... نَرُدُّ حَسيراً طَرْفَهُ وهْوَ أَقْبَلُ
ولم يَرَنا ذُو الضِّغْنِ إلا يَهابُنا ... وإلا يَرانا فَوْقَهُ وَهْوَ أَسْفَلُ (١)

وهذا ساعدة بن جُؤَيَّةَ يفتخر بنسبه، فهو من أقوام زِنادي زواخر، أي أن شجرته تطول في السماء، وأنه من شجرة ثابتة الأصل طويلة الفرع، يقول:

وإنـيٍّ لابْنُ أقـوامٍ زِنـادي ... زَواخِرُ والغُصُونُ لها أُصُولُ (٢)

وكثيراً ما هجموا غيرَهم من القبائل أثناء هجائهم، كلّ ذلك من حبِّهم لقبيلتهم وافتخارهم بها، فهذا عَمرُو بنُ هُمَيْل اللِّحْيانيُّ يفتخر بقومه عندما هجا عَمْرَو بن جُنادَة الخُزاعي، يقول:

فإنَّ بيوتَنا شُمٌّ طِوالٌ ... وبيتُكَ لا يَظِلُّ ولا يَبِيتُ
وإنَّا نحنُ أَقْدَمُ منكَ عِزّاً ... إذا بُنِيَتْ بمَخْلَفَةَ البيوتُ
خُزَيْمَةُ عَمُّنا وأبي هُذَيْلٌ ... وكُلُّهُمُ إلى عِزٍّ وَلِيتُ (٣)

وهذا المُعَطَّلُ الهُذَليُّ يعنف عامرَ بن سَدوسٍ أخي بني خُناعَةَ بن سَعْد بن هُذَيْل، وكان الناس يُولجُون بَني سَدوسٍ وأولياءَ عامرٍ وإخْوَتَه إلى خُزاعة، قال ابن الأعرابي: كان الناسُ يَعْدِلون عامرَ بن سدوسٍ وبني أبيه إلى خُزاعة(٤). فقالَ المُعَطَّلُ في ذلك يعنفه ويقول له: عَلامَ تفخر بانتسابك إلى خُزاعَةَ، ثم يقول له: إخَالُكُم من أُسْرَةٍ قَمَعيَّة إذا نَسَكُوا لا يَشْهدونَ المُعَرَّفَ بمنىً أو بعرفة، أي أنهم ليسوا على دين العرب، وكان يقال: إن خُزاعَة من ولد قَمَعَة بن خِنْدِف، يقول المُعَطَّل:

أَمِنْ جَدِّكَ الطَّريفِ لَسْتَ بلابسٍ ... بعاقِبةٍ إلاّ قَميصاً مُكَفَّفا
وكنتَ امْرأً نَزَقْتَ مِنْ قَعْرِ قَرْوَةٍ ... فما تأخذُ الأقوامَ إلا تغطْرُفا

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين جـ ٢ ص٥٣٥.
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص١١٤٤.
(٣) المرجع نفسه جـ ٢ ص٨٢٢. مَخْلَفَةُ: منىً حيث ينزلُ النّاس، يقال مَخْلَفَةُ بني فلان، أي: منزلُهم. وَلِيتُ أي: وَليتُ ذلكَ منه.
(٤) كتاب شرح أشعار الهذليين جـ ٢ ص٦٣٦.

تركتَ سَدُوساً وَهْوَ سَيِّدُ قَوْمِه ... بِمُسْتَنٍّ سَيْلٍ ذي غَوارِبَ أَعْرَفَا

وأنتَ فتاهُم غَيْرَ شَكٍّ زَعَمتَهُ ... كفى بكَ ذَا بَأْوٍ بِنَفْسِكَ مِزْخَفَا

إخالُكُمُ مِنْ أُسْرَةٍ قَمَعِيَّةٍ ... إذا نَسَكُوا لا يشهدونَ المُعَرَّفا (١)

وكان الانتساب إلى القبيلة عندهم شيئاً كبيراً لا يَعْدلُه شيء آخرُ،ولا شكَّ أنّ ذلك كان أثراً للحمية الجاهلية والعصبيّة القبليّة التي كانت سائدة عندهم، وكان الخليع الذي تخلعه القبيلةُ منها يلقى من المذلّة والمهانَة مالا يلاقيه أحدٌ، وقد يتعرض للقتل دون أن يطالب أحدٌ بدمه فيذهب هَدْراً، وذكر الألوسي(٢) أنهم كانوا في الجاهلية ربما خَلَعوا الواحدَ من القبيلة ولو كان من صميمها إذا صدرت منه جناية تقتضي ذلك، وهذا مما أبطلَه الإسلامُ من حُكْم الجاهلية،وروي أن هُذَيْلاً كانت قد خلعت خليعاً منهم في الجاهلية، وحدث أن طَرَقَ الخليعُ أهلَ بيتٍ من اليمن بالبَطْحاء، فانتبه له رجلٌ منهم فحَذَفَه بالسيف فقَتَله، فجاءت هُذَيْل فأخذوا اليمانيَّ ورفعوا الأمر إلى عمرَ بالموسم، وقالوا: قتلَ صاحبَنا، فقال القاتل: إنهم قد خلعوه، فقال عمر: يقسم خمسون من هُذَيْل ما خَلَعوا، فأقسم منهم تسعة وأربعون رجلاً، وقدم رَجلٌ منهم من الشام فسألوه أن يقسم، فافتدى يمينه منهم بألف درهم، فأدخلوا مكانه رجلاً آخرَ فدفعه إلى أخي المقتول فقُرِنَت يدُه بيده، قالوا: فانْطَلَقَا والخمسون الذين أقسموا حتى إذا كانوا بنخلة أخذتهم السماء فدخلوا في غارٍ في الجبل فانْهَجَم الغار على الخمسين الذين أقسموا فماتوا جميعاً، وأفلتَ القرينان، ولكنه حدث أن اتبعَهُما حَجَرٌ فكسَرَ رِجْلَ أخي المقتول فعاش حولا، ثم مات.

وحاصل القصة: أن القاتلَ ادعى أن المقتول لصٌّ وأن قومَه خلعوه، ولكنهم أنكروا ذلك وحلفوا كاذبين، فأهلكهم الله بحنث القسامة وخلَّصَ المظلومَ وحدَه(٣).

ولعل حوادث الخَلْع أو النفي كانت كثيرة عندهم،وكانت تعتبر بمثابة العقاب الصارم للمخلوع أو المنفي، فيشعر المخلوعُ أو المنفي باهتزاز كيانه في المجتمع، مما

---

(١) المرجع السابق جـ ٢ ص٦٣٦، مُكَفَّفا: تُكَفِّفُهُ بالديباج، بعاقبة: في آخر الآمر، نزقت: خَرَجْت، القَرْوَة: أصل النخلة يُنْقَرُ فيُشرَبُ فيه، تَغَطرُفا: قَسْراً وتعسفاً، غواربُ: أعالٍ، أعرف: له عُرْف، البأو: الفخرُ والكِبْرُ، مِزْخَفٌ: فَخُورٌ، نَسَكوا: ذبحوا النَّسيكَة.

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جـ ٣ ص٢٨.

(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص٢٨. وانظر «فتح الباري شرح صحيح البخاري» الحديث (٦٨٩٩).

يعرضه للمخاطر والصعوبات، إذ كان ذلك يعتبر ذلة ومهانة تلحق بالشخص فتؤثر في كيانه من حيث هو رجل، وتؤثر في شخصيته في المجتمع بصفةٍ عامَّةٍ.

وقد روى أبو سعيد السُّكَّريُّ أن رجلاً من هذيل أقبل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو جالسٌ، فقال: يا أمير المؤمنين:

أَتَيْتُكَ في والدٍ قاطِعٍ ... كَثيرِ الشَّتيمَةِ لا يُغْلَبُ
فَكُنْ لي ظهيراً ولا أُظْلَمَنْ ... فليس وراءَكَ لي مَذْهَبُ
نَفاني وكنتُ ابنَهُ حِقْبَةً ... إليه أَؤُولُ إذا أُنْسَبُ
لِزَوْجَةِ سَوْءٍ فَشَا شَرُّها ... عَليّ جِهاراً فَهِي تَضْرِبُ
على غَيْرِ ذَنْبٍ قُضَاعِيَّةٍ ... لها والِدٌ فَوقَهُ أَحْدَبُ

والظاهر أن هذا الرجلَ كان يشكو من والده المقاطع الذي نفاه بسبب زوجة أبيه القضاعية، فما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أن بعثَ في طَلَب أبيه فدعاه، فقال له: ما يقول ابنُكَ؟ زعم أنَّك نَفَيْتَه؟ فقال: يا أمير المؤمنين غَذَوْتُه صغيراً، وَعقَّني كبيراً، أَنْكَحْتُه الحرائرَ، وكفيتُهُ الجَرائرَ،فأَخَذَ بِلِمَّتِي وأظهرَ مَشْتَمَتي ثم قال:

شاهِدُ ذاكَ من هُذَيْلٍ أَرْبَعَهْ ... مُسَافِعٌ وَعَمُّهُ ومَشْجَعَهْ
وسيِّدُ الحَيِّ جَميعاً مالِكُ ... ومالِكٌ مَحْضُ العروقِ ناسِكُ

فأمر عمُر رضي الله عنه بالغلام فضرب بالدِّرَّة، فأخذ ينادي وهو يُجَرُّ ويقول:

شكوتُ أميرَ المؤمنينَ ظُلامَتي ... فكان حِبائي أَنْ أُجَرَّ على فَمِي (١)

وهذه القبيلةُ العربيةَ المشهورةُ أنجبت الكثيرَ من العلماء الأعلام، وينتسب إليها الكثير من الرجالات المشهورين والشعراء المُفْلِقِينَ،فمن أعلامها عبد الله بن مسعود، وأخويه عتبة بن مسعود، وعُمَيْسُ بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيْل وكذلك عبد الله وعَوْن ابنا عتبة بن مسعود، ثم أبو عبيدة وعبد الرحمن وعتبة بنو عبد الله بن

---

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين جـ٢ ص٨٩٣ - ٨٩٤.

مسعود، ثم إن المؤرخ المسعوديَّ صاحب مروج الذهب من وُلد عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود، وهو عليّ بن الحسين بن علي بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود(١).

وعبد الله بن مسعود كنيته أبو عبد الرحمن، وأمه هي أمُّ عَبْد بنت عَبد وُدّ ابن سواء بن قُرَيم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذَيل. وأسلم عبد الله في أول الإسلام، وكان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ مَرَّ به وهو يرعى غنماً لعُقْبَة بن أبي مُعَيْط، فأخذ شاةً حَائلاً من تلك الغَنَم، فدَرَّت عليه لبناً غزيراً، فأسلَم عبدُ الله(٢). وقد ذكره ابن هشام مع الذين أسلموا بدعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٣). وذكره النويري مع مَن ذكر من خدم رسول الله ﷺ، فروي أنه كان يلبسه نعليه إذا قام، وإذا جلس جعلهما في دُرّاعَته حتى يقوم رسول الله ﷺ، وكان يمشي أمام رسول الله ﷺ إذا مشّى، ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام(٤).

ويروى أنه كان رجلاً نحيفاً قصيراً، يكاد الجلوسُ يوازونه من قصره، وأنه كان شديدَ الأَدَمة، وله شعر يبلغ ترقوته ويجعَلُه وراء أذنية، وكان لا يُغَيِّرُ شَيْبَه، وكان يتختم بالحديد(٥).

وكان عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه من أعلم الصحابة بكتاب الله تعالى مُحْكَمُهُ ومُتَشَابِهُهُ، حلالُه وحرامُه، قصصُه وأمثالُه، فكانت ملازمته للرسول ﷺ السببَ في زيادة ثقافته وعلمه. وروي عنه أنه قال: "ما أُنزلتْ سورة إلا وأنا أعلَمُ فيمَ نَزَلَت، ولو أعلمُ أنّ أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلُغُه الإبلُ أو المطايا لأَتَيْتُهُ(٦). ويروى أنه قال: "أخذت من في رسول الله صلى الله بضعاً وسبعين سورةً"(٧).

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٩٧.
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري جـ١٨ ص٢٢٥.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ٣ ص٢٤.
(٤) نهاية الأرب للنويري جـ١٨ ص٢٢٥.
(٥) كتاب المعارف لابن قتيبة ص١٠٩.
(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ ص٣٤٢.
(٧) المرجع السابق جـ٢ ص٣٤٢.

وكان عبدُ الله بن مسعود من القُرّاء قال ابنُ سعد: "أخبرنا أبو معاوية الضرير، أخبرنا الأعمشُ عن أبي ظَبْيان عن ابن عباس قال: أيُّ القراءتين تَعُدُّون أَوَّلَ؟ قال: قلنا: قراءةُ عبد الله. فقال: لا، بل هي الآخرة، إن رسول الله ﷺ كان يُعْرَض عليه القرآنُ في كلِّ رمضانَ مَرَّةً إلا العامَ الذي قُبَضَ فيه فإنه عُرِضَ عليه مَرَّتين، فحضرَهُ عبدُالله بن مسعود فشهدَ ما نُسِخَ منه وما بُدِّلَ"(١).

وكان رسولُ الله صلى الله يُحبُّ سماعَ القرآن منه،وورد عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليَّ، فقلت: كيف أقرأ عليكَ وعليكَ أُنزِلَ؟ قال: إنِّي أُحبُّ أن أسمعَه من غيري! قال: فقرأتُ عليه سورة النساء، حتى إذا بلغت: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كلِّ أُمة بشهيد وجئنا بكَ على هؤلاء شهيداً** ﴾ [النساء: ٤١]. قال لي: حَسْبُكَ! فنظرت إليه وقد اغْرَوْرَقَتْ عَيناهُ من الدمعِ وقال: "مَنْ سَرَّه أن يقرأ القرآن غضّاً كما نَزَلَ فليقرأه بقراءةِ ابن أمّ عَبْدٍ"(٢). إلى غير ذلك من الأخبار الدالّة على مكانته وفضله في العلم.

ومما يَدُلّ على منزلته بين أصحاب رسول الله ﷺ قولُ عُمرَ رضي الله عنه، عندما أرسله إلى الكوفة وقد كتب إلى أهلها: "إني قد بعثتُ عمارَ بن ياسر أميراً وعبدَ الله ابنَ مسعود مُعَلِّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، ومن أهلِ بَدْرٍ. فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولَهما وقد آثرتُكم بعبدِ الله على نفسي"(٣).

ويعدّ ابنُ مسعود رضي الله عنه ثاني المكثرين من الصحابة في التفسير فمكانته بعد ابن عباس، والمروي عنه أكثرُ من المروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، كما ذكر ذلك السيوطي في الإتقان(٤). وقد تتلمذ على يديه كثير من أهل الكوفة لوجوده بينهم مُعَلّماً وقاضياً، وقد كان ابن مسعود على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر بن الخطاب وصدراً من خلافة عثمان بن عفان(٥).

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٢ ص٣٤٢، ومسند الإمام أحمد ١/٣٦٢، الحديث (٣٤٢٢).

(٢) الطبقات الكبرى جـ ٢ ص٣٤٣، ومسند الإمام أحمد ١/٧، ٤٤٥، ٤٥٤.

(٣) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين د. عبد العظيم أحمد الغباشي ص١٦.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ٢ ص١٨٧ ط ٣ الحلبي سنة ١٩٥١م.

(٥) كتاب المعارف لابن قتيبة ص١٠٩.

وكانت وفاته رضي الله عنه بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، وروي أنه صلّى عليه عثمانُ بن عفان، وقيل: عمار، وقيل: الزبير بن العوام، وأنه دَفَنَه بالبقيع ليلاً لإيصائه إليه بذلك، وكان يوم توفي ابن بضع وستين سنة، وهو أحد من شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة(١).

ومن هُذَيْل الفقيه عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود، وهو أبو عبد الله عُبَيْدُ الله بنُ عبد الله بن عتبةَ بنِ مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فار، بن مخزوم بن صبح بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سَعْد بن هُذَيل،وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وهو ولد ابن أخي عبد الله بن مسعود، وكان من أعلام التابعين، ولقي خلقاً كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم،وسمع من ابن عباس وأبي هريرة وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين(٢).

قال الزهري: أدركتُ أربعةَ بحورٍ فذكرَ فيهم عُبَيْدَ الله المذكور،وقال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فظننت أني قد اكتفيت حتى لقيت عُبَيْدَ اللهِ ،فإذا كأني ليس في يدي شيء(٣).

وكان عُبَيْدُ الله عالماً ناسكاً، وروى أن عمرَ بن عبد العزيز قال: لأن يكون لي مجلس من عُبَيْد الله أحَبُّ إليّ من الدنيا وما فيها، وقال: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عُبَيْد الله بألف دينار من بيت المال،فقالوا : يا أمير المؤمنين تقول هذا مع تَحرِّيك وشدة تحفظك! فقال: أين يذهب بكم، والله إني لأعود برأيه وبنصيحته وبهدايته على بيت مال المسلمين بألوف وألوف، إن في المحادثة تلقيحاً للعقل وترويحاً للقلب، وتسريحاً للهمّ، وتنقيحاً للأدب(٤). ويروى من شعره:

تَغَلْغَلَ حبُّ عثمَةَ في فؤادي ... فبادِيهِ مع الخافي يَسِيرُ

تَغَلْغَلَ حيثُ لم يَبْلُغْ شرابٌ ... ولا حُزْنٌ ولم يَبْلُغْ سُرورُ

---

(١) نهاية الأرب للنويري جـ١٨ ص٢٢٥.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص٢٧١. وصبح بن كاهل خطأ، صوابه صاهله بن كاهل.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص٢٧١.

(٤) المرجع نفسه جـ ١ ص٢٧٢.

ويروي أنه لما قال هذا الشعر قيل له: أتقول مثل هذا، فقال: في اللَّدود راحةُ المفؤود، وهو القائلُ أيضاً: لا بُدَّ للمَصْدورِ أنْ يَنْفُثَ"[1] وذكر ابن خلكان أنه توفي سنة تسع وتسعين، وقيل: ثمان وتسعين للهجرة، وذلك بالمدينة، أما والده عبد الله فتوفي سنة ستة وثمانين للهجرة، رضي الله عنهما[2]. وكانت الرياسة في الجاهلية إلى جدّه صبح بن كاهل[3].

ثم عَون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وكان زاهداً عالماً، وكان ذا منزلة عند عمر بن عبد العزيز كذلك، حتى يُروى أنه قد طال مُقام جرير بباب عمر بن عبدالعزيز فكتب إلى عون بهذه الأبيات:

يا أيُّها القارِئُ المُرْخِي عِمامَتَه ... هذا زَمانُكَ إنِّي قد خَلا زَمَني

أبْلِغْ خليفتَنا إنْ كنتَ لاقيَهُ ... أنِّي لَدى البابِ كالمشدودِ في قَرَنِ[4]

ويروى عنه كذلك أنه كان بليغاً فصيحاً، وأنّه كان في أول عمره يقول بالإرجاء ثم رجع عن ذلك قال:

وأَوَّلُ ما نفارقُ غيرَ شَكٍّ ... نُفارِقُ ما يقولُ المرجئونا

وقالوا مؤمن دمُه حلالٌ ... وقد حَرُمَتْ دماءُ المؤمنينا

وقالوا مؤمن مِن أهل جودٍ ... وليس المؤمنون يحاربونا[5]

ولكنا نلاحظ أنَّ شعره شعر علماء كما هو ظاهر.

وكان من هذيل بعض القواد العرب مثل عمرو بن عُمَيْس بن مسعود وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود، الذي كان والياً لعليّ بن أبي طالب على القُطْقُطَانَة وقتله هُنالكَ عاملُ معاوية بن أبي سفيان الضحَّاكَ بن قيس الفهريُّ[6]. ثم سنان

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص٢٧٢.

(٢) المرجع نفسه جـ ١ ص٢٧٢.

(٣) صبح بن كاهل خطأ، صوابه صاهلة بن كاهل.

(٤) كتاب المعارف لابن قتيبة ص١١٠.

(٥) المرجع السابق ص١١٠.

(٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٩٧.

ابن سَلَمة بن المحبِّق الهُذَلي الذي كان أميراً على البحرين[١] إلى غير هذين من الرجالات المشهورة.

ومن هُذَيْل أبو المَليح الهُذَليُّ وهو أسامة بن عُمَيْر، وأبو بكر الهذلي الذي كان من العلماء بأيام الناس، وكان خطيباً قاصّاً وعالماً بَيِّناً،وروي عنه أنه لما فاخر أهل الكوفة قال: "لنا السَّاجُ والعاجُ، والديباجُ والخراجُ، والنَّهر العَجَّاج"[٢]. ومن قُصاص هُذَيْل كذلك مسلم بن جندب، الذي كان قاصَّ مسجد النبيِّ ﷺ بالمدينة، وكان إماماً وقارئاً. وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: "مَن سَرَّه أن يسمعَ القرآنَ غَضّاً فليسمعْ قراءةَ مسلم بن جندب"[٣].

وفي هُذَيْل الكثير من الشعراء المُفْلِقينَ الأفذاذ، الذين ينتسبون إلى هُذَيْل وإلى بطونها وأفخاذها المختلفة، وقد ذكر ابن حزم أن في هذيل نيفاً وسبعين شاعراً مشاهير[٤]. والذي في كتاب شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السُّكَّريِّ ما ينوف عن مئة شاعرٍ، ومن مشاهيرهم أبو ذؤيب، وساعدة بن جُؤيَّه، والمُتَنَخِّل، وأبو خِراش وأبو كَبير، وأبو صَخْر، وأبو العِيال، والمُعَطَّل، وعَمرو ذي الكلب وغيرهم من المشاهير ممن لا مجال لذكرهم في هذا الفصل.

وهكذا نرى أن قبيلة هُذَيْل ينتسب إليها بما تفرع عنها من بطون وأفخاذ مختلفة الكثير من الصحابة والتابعين والعلماء الأعلام، وكذلك الشعراء الأفذاذ، ثم الأعيان والرجالات العربية، الذين خلدوا ذكر قبيلتهم حتى أصبحت مفخرة أدبيةً كبرى للعرب على مَرِّ العصور.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٧ ص١٢٤.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ ١ ص٣٥٧.

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص٣٦٨.

(٤) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٩٨.